سلسلة الشروح العلمية لعموم الأمة المحمدية (١)

الإفادة

بشرح القواعد الأربعة

كتبه

أبو عبد السلام حسن بن قاسم الحسني الريمي

عفا الله عنه

الطبعة الثانية ١٤٤٥هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدلله رب العالمين والصلاة السلام على نبينا محمد وعلى آله صحبه أجمعين؛

أما بعد:

فهذا شرحٌ مختصرٌ أقدمه للقراء الكرام ضمن سلسلة/ **(الشروحات العلمية لعامة الأمة المحمدية)** على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم، وهو عبارة عن شرح ميسر للـ "قواعد الأربعة" للإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي النجدي رحمه الله المتوفى (١٢٠٦هـ) كنت ألقيته على بعض طلبة العلم بمركز دار القرآن الحديث بولاية الخرطوم السودان لعام (١٤٤٠-١٤٤١هـ)، وقام بتفريغه ابننا البار عبد السلام سلمه الله من كل شر وعافاه، ثم نظرت فيه وعدلت وزدت ما كان مناسبا وأسميته: **"الإفادة بشرح القواعد الأربعة"**.

فالله أسأل أن ينفع بهذا الشرح كما نفع بأصله إنه لي ذلك والقادر عليه،،،،

وكتب/
أبو عبد السلام حسن بن قاسم الحسني الريمي
مسجد الرحمن. بير أحمد. عدن
(٢٠محرم ١٤٤٢هـ)

المتن:

قال الإمام محمد بن عبد الوهاب النجدي التميمي رحمه الله:

بسم الله الرحمن الرحيم: أسأل الله الكريم ربّ العرش العظيم أن يتولّاك في الدنيا والآخرة، وأن يجعلك مبارَكًا أينما كنت، وأن يجعلك ممّن إذا أُعطيَ شكر، وإذا ابُتلي صبر، وإذا أذنب استغفر، فإنّ هؤلاء الثلاث عنوان السعادة.

الشرح:

فائدة: (القاعدة): مفردُ قواعد، وهي: ما يبنىٰ عليه الشيء.

مضمون هذه القواعد الذي ذكرها هذا الإمام هو: معرفة التوحيد للعمل به، ومعرفة الشرك لاجتنابه.

ومعرفة ذلك: لا يكون إلا بالكتاب والسنة.

والتوحيد هو: إِفْرَادُ الله بِمَا يَخْتَصُّ بِهِ مِنَ الأُلُوهِيَّةِ وَالرُّبُوبِيَّةِ وَالأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ.

والشرك هو: عِبَادَةُ غَيْرِ الله مَعَ الله.

قوله: (بسم الله الرحمن الرحيم): البداءة بالسملة اقتداء بالكتاب العزيز؛ فقد جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما: «كَانَ يُعْرَفُ فَصْلُ مَا بَيْنَ السُّوْرَةِ وَالأُخْرَىٰ بِبِسْمِ الله الرَّحْمَنِ الرَّحِيْمِ».

واقتداء بالسنة المطهرة، على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم في مراسلاته للأمراء والملوك.

وما رُوِيَ في ذلك من فضل الابتداء بالبسملة في حديث: «**كُلُّ أَمْرٍ ذِيْ بَالٍ** - أَيْ ذُو شَأْنٍ- **لَا يُبْدَأُ فِيْهِ بِبِسْمِ اللهِ فَهُوَ أَقْطَعُ**» وفي لفظ: «**أَبْتَرُ**». وفي لفظ: «**أَجْذَمُ**». والحديث ضعيفٌ جدًّا كما حكم عليه شيخنا العلامة الألباني رَحِمَهُ اللهُ في "الإرواء" لضعف ابن الجندي أحمد بن محمد بن عمران، **قال فيه الخطيب البغدادي**: كان يضعف في روايته ويطعن عليه في مذهبه.

قوله: (يتولاك): ولاية الله للعبد في الدنيا والآخرة.

في الدنيا: بسعة العلم وسعة الرزق والعافية والمنهج السلفي الرصين.

وفي الآخرة: بأن يدخلك الجنة ويقيك من عذاب النار.

قوله: (مباركاً): البركة: هِيَ الزِّيَادَةُ فِي الشَّيْءِ وَثَبَاتِهِ.

ولا يجوز أن يتبرك بآثار الصالحين، ولو كانوا الصحابة رضوان الله عليهم، فضلًا عمن عداهم، وأمَّا الأنبياء والمرسلون فيجوز أن يتبرك

الإنسان بذواتهم، فقد جعل الله البركة في أجسادهم وآثارهم كالشعر والعرق والنخامة ونحو ذلك فيما يتعلق بذواتهم.

بمعنى: أنه لو تبرك أحدٌ من أقوامهم بأجسادهم؛ إما بالتَّمسح بها، أو بأخذ عرقها، أو التبرك ببعض شعرات رؤوسهم، فهذا جائز؛ لأن الله جعل أجسادهم مباركة بركة متعدية.

وهكذا نبينا محمد بن عبد الله ﷺ جَسَدُهُ أيضًا جَسَدٌ مباركٌ.

ولهذا ورد في السنة: أن الصحابة كانوا يتبركون بعرقه، ويتبركون بشعره كما في "مسلم"، وإذا توضأ اقتتلوا على وضوئه كما في "البخاري" إلى آخر ما ورد في ذلك؛ ذلك أن أجساد الأنبياء فيها بركة ذاتية ينتقل أثرها إلى غيرهم.

وهذا مخصوص بالأنبياء والرسل، أما غيرهم فلم يرد دليل على أن من أصحاب الأنبياء والرسل مَن بركتهم بركة ذاتية، حتى أفضل هذه الأمة أبو بكر وعمر.

أما البركة التي في بقية المؤمنين: وعلى رأسهم الصحابة الكرام، فهي بركة عمل راجعة إلى الإيمان، وإلى العلم، والدعوة، والعمل، والاتباع للرسول ﷺ.

وعليه، فيكون معنىٰ **التبرك بأهل الصلاح**: هُوَ الاقْتِدَاءُ بِهِمْ فِي صَلَاحِهِمْ، وَالتَّبَرُّكُ بِأَهْلِ العِلْمِ هُوَ الأَخْذُ مِنْ عِلْمِهِمْ وَالاسْتِفَادَةُ مِنْهُم.

وهكذا، ولا يجوز أن يُتبرك بهم بمعنىٰ: أن يُتمسح بهم، أو يُتبرك بريقهم؛ لأن أفضل الخلق من هذه الأمة وهم الصحابة الكرام رضوان الله عليهم لم يفعلوا ذلك مع خير هذه الأمة أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي رضوان الله عليهم.

والبركة أيضًا قد تكون في الزمان: كشهر مضان، والعشر الأوائل من ذي الحجة، لما ورد في فضلها من نصوص.

وأيضًا في المكان كالصلاة: بالمسجد الحرام، والمسجد النبوي، والمسجد الأقصىٰ، وهذه بركتها ليست أيضًا بركة ذات؛ بمعنىٰ: أنها تنتقل بالملامسة وإنما بركتها من جهة المعنىٰ، كحصول الفضل والثواب لمن صلىٰ فيها.

فحاصله: أن المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ دعا بحصول البركة للمتعلم من جهة علمه ونفعه ونحو ذلك.

ينظر في ذلك كتاب "التمهيد شرح كتاب التوحيد" للشيخ صالح آل الشيخ ص١٦٠فما بعدها.

قوله: (شكر): الشُّكْرُ فِعْلٌ يُنَبِّئُ عَنْ تَعْظِيْمِ المُنْعِمِ في مُقَابِلِ نِعْمَةٍ فَقْطْ.

ومتعلقه القلب واللسان والجوارح.

قال الشاعر:

أَفَـادَتْكُمُ النَّعْمَـاءُ مِـنِّي ثَلَاثَـة يَدِي وَلِسَـانِي وَالضَّـمِيْرِ المُحَجَّبَـا

قال تعالى:

﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾[إبراهيم:٧].

فالنعم إذ شُكِرت قَرَّتْ وإذا كُفِرت فَرَّت.

ويكون الشكر بثلاثة أشياء:

يكون بالقلب: وهو أن يعترف بقلبه أن هذه النعمة من الله، فيرى لله فضلاً عليه بها.

قال تعالى: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ [النحل:٥٣].

ويكون باللسان: وَهُوَ أَنْ يَتَحَدَّثَ بِهَا عَلَى وَجْهِ الثَّنَاءِ عَلَى الله وَالاعْتِرَافِ وَعَدَمِ الجُحُودِ، لَا عَلَى سَبِيْلِ الفَخْرِ وَالخُيَلَاءِ وَالتَّرَفُّعِ عَلَى عِبَادِ الله.

فيتحدث بالغنى لا ليكسر خاطر الفقير؛ بل لأجل الثناء على الله.

وهذا جائزٌ فالنبي ﷺ تحدث بنعمة الله عليه بالسيادة المطلقة، فقال: «**أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ الْقَبْرُ وَأَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ**» كما في "مسلم" من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ويكون بالجوارح: وَهُوَ أَنْ يَسْتَعْمِلَهَا بِطَاعَةِ الْمُنْعِمِ، وَعَلَى حَسَبِ مَا يَخْتَصُّ بِهَذِه النِّعْمَةِ.

فمثلاً: شُكْرُ الله على نعمة العلم: أن تعمل به، وتعلمه الناس.

وشُكْرُ الله على نعمة المال: أن تصرفه بطاعة الله، وتنفع الناس به، وهكذا.

انظر: حول هذا كتاب "القول المفيد شرح كتاب التوحيد" (١/ ٢٣٨).

قوله: (صبر): الصبر هو حبس النفس على ثلاثة أشياء:

١-: صبر على طاعة الله.

٣-: صبر على معصية الله.

٣-: صبر على أقدار الله المؤلمة.

والصَّبْرُ له منزلتُهُ الرفيعة في الإسلام؛ **قال تعالى**: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر:١٠].

وفي الحديث: الذي رواه "مسلم" عَن أَبي سَعِيدٍ الأَنْصَارِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «...**وَمَنْ يَصْبِرْ يُصَبِّرْهُ اللهُ، وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ مِنْ عَطَاءٍ خَيْرٌ وَأَوْسَعُ مِنَ الصَّبْرِ**».

قوله: (استغفر): كُلَّمَا أَحْدَثْتَ ذَنْبًا أَحْدِثِ اسْتِغْفَارًا.

والألف السين والتاء تدلُّ على الطلب، أي: طلب الاستغفار، **وهو**: سَتْرُ الذُّنُوبِ وَمَحْوِهَا وَالتَّجَاوُزُ عَنْهَا.

فلو اقترن ذلك مع اسم الغفور والغفار كان أفضل؛ لأنه توسل إلى الله باسم من أسمائه الحسنى، مناسبٌ للمقام.

وقال رحمه الله:

اعلم أرشدك الله لطاعته: أن الحنيفية ملّة إبراهيم: أن تعبد الله مخلصًا له الدين كما قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦].

فإذا عرفت أنّ الله خلقك لعبادته فاعلم: أنّ العبادة لا تسمّى عبادة إلا مع التوحيد، كما أنّ الصلاة لا تسمّى صلاة إلا مع الطهارة، فإذا دخل الشرك في العبادة فسدتْ كالحَدث إذا دخل في الطهارة. فإذا عرفتَ أن الشرك إذا خالط العبادة أفسدها وأحبط العمل وصار صاحبه من الخالدين في النار عرفتَ أنّ أهمّ ما عليك: معرفة ذلك، لعلّ الله أن يخلّصك من هذه الشَّبكة، وهي الشرك بالله الذي **قال الله فيه:** ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء: ١١٦].

وذلك بمعرفة أربع قواعد ذكرها الله تعالى في كتابه.

الشرح:

قوله: (اعلم): خِطَابٌ لِكُلِّ مَنْ يَتَأَتَّىٰ مِنْهُ العِلْمُ وَالفَهْمُ.

قوله: (أرشدك الله لطاعته): دُعَاءٌ لِلمُتَعَلِّمِيْنَ، يَتَضَمَّنُ التَّلَطُّفَ بِهِمْ وَحُسنَ التَّعْلِيْمِ.

قوله: (الحنيفية): الحَنِيْفُ: هُوَ المُقْبِلُ عَلَىٰ اللهِ المَائِلِ عَمَّا سِوَاهُ.

وقوله: (ملة إبراهيم): عطف بيان للحنيفية، والمقصود بذلك التوحيد: (إِثْبَاتُ العُبُودِيَّةِ لله وَنَفْيُهَا عَمَّا سِوَاهُ).

وقد أمر الله نبيه باتباع ملة إبراهيم. **فقال تعالى:** ﴿ ثُمَّ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ أَنِ ٱتَّبِعۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾[النحل:١٢٣].

وأمرنا باتباع هذه الملة **فقال تعالى:** ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَ﴾ [الحج:٧٨].

قوله: (**أن تعبد الله مخلصًا له الدين**): العبادَةُ تحتاج إلى إخلاص؛ لأنه لا يكفي أن الانسان يعبد الله ويأتي بما ينقض هذه العبادة، أو يعبد الله ولا يكفر بما يعبد من دون الله، بل لابد من الأمرين؛ إخلاص العبادة لله والكفر بما يعبد من دون الله، فهذا أمرٌ مهمٌّ جدًّا.

قال تعالى: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗا﴾ [النساء:٣٦].

وقال تعالى: ﴿فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٥٦].

ونحو هذه الآيات الدالة على ذلك.

عبادة الله: تفرد الله بالعبودية وتصرفها له ﷻ.

والكفر بما يعبد من دون الله: معناه إخلاص العبادة لله.

قوله: (**أمر الله**): أمرُ وجوبٍ وتَحتُّم.

ومن الأدلة على ذلك: حَدِيثُ مُعَاذِ بْن جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وفيه: «... **حَقُّ اللهِ عَلَى العِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَحَقُّ العِبَادِ عَلَى اللهِ أَنْ لَا يُعَذِّبَ مَنْ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا**».

فأهل العلم يفرقون بين الحقين:

فحق الله: حقُّ وجوبٍ وتَحتُّم والزام.

وحق العباد: حقُّ تَفَضُّل وإحسان وإنعام.

قوله: (**جميع الناس**): الصحيح أن يقال: (**جميع الثقلين**)؛ لأن الجن أيضاً مأمورون بذلك.

قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

وقد يخرج للمؤلف بأن لفظ (**الناس**): مُشْتَقٌّ من النَّوَس، وهو الحركة على رأي بعض علماء اللغة؛ فيدخل الجن في الأمر.

قوله: (**ليعبدون**): هذه اللام لام الحكمة أو العلة، فالحكمة والعلة من خلقهم هي القيام بعبودية الله تعالى.

أنت لم تُخلق للأكل والشرب والنوم والمنكح، أنت خُلِقْتَ لغايةٍ عظيمةٍ وحكمةٍ جليلةٍ؛ وهي القيام بعبودية الله ﷻ والكفر بما يُعبد من دونه.

قوله: (فإذا عرفت): الشيخ رحمه الله يقرر هذا الأسلوب الجيد في التعليم، وأيضًا أسلوب في النقاش؛ فلا تخرج من مسألة حتى تنتهي منها؛ لأن بعض الناس إذا ضيق عليه ولُزّ في مسألة ذهب إلى أخرى، وهكذا فتنبه. وهذه تسمى الحيدة، وللشيخ عبد العزيز الكناني كتاب اسمه: "الحيدة".

قوله: (إلا مع التوحيد): أي: أن العبادة لا تصحُّ إلا بإخلاصها لله المتضمن للكفر بما يعبد من دون الله، إذا أخلصت العبادة لله فأنت كفرت بما يعبد من دون الله.

قوله: (إلا مع الطهارة): لا يصحُّ أن الإنسان يُصَلي بغير طهارة، وهذا طبعًا مع بقية الشروط، لكن الشيخَ أرادَ أن يَضْرب مثلًا بشيءٍ ظاهرٍ الكلُّ يعرفه، الصغير والكبير.

قوله: (كالحدث اذا دخل في الطهارة): وهذا مَثَلٌ تقريبيٌّ.

وهكذا أهل العلم يضربون الأمثلة في أثناء التعليم؛ حتىٰ يقرب المعنىٰ أكثر للطالب.

لذلك ضرب الله الأمثلة في القرآن؛ لأجل تقريب المعاني وفهمها.

كقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ﴾ [إبراهيم:٢٤-٢٦].

قوله: (**فسدت**): أي: العبادة لمخالطها الشرك؛ لأن بعض الناس ما يفهم التوحيد، وأن الشرك ناقضٌ له من أساسه؛ **فتراه يقول لك**: أنا أصلي ولكن أذهب الىٰ القبر الفلاني فأتوسل به إلىٰ الله؛ لأن له منزلة عند الله ووو فماذا في ذلك!!!

فلأجل عدم فهم بعض الناس ذلك؛ قرَّب الشيخ حقيقة الشرك وكيفية إبطاله للعبادة العمل، بقوله: **كالحَدَثِ إِذَا دَخَلَ فِي العِبَادَةِ.**

أي: كالحدث اذا دخل في الوضوء؛ فإن الوضوء ينقض بذلك.

قوله: (**فإذا عرفت....**): **أي**: تقرَّر ذلك عندك؛ من أن الشرك يبطل العبادة كإبطال الحدث، سواءً أكانَ أصغرًا أم أكبرًا للوضوء.

قوله: (**الشبكة**): هي شبكة معنوية وهي مصيدة يصيد بها الشيطان من شاء يزين لهم الشرك كما قال القائل:

قَـدْ صَـادَهُمْ إبْلِـيسُ فِي فِخَاخِـهِ بَلْ بَعْضُهُمْ قَدْ صَارَ مِـنْ أَفْرَاخِـهِ

يَـــدْعُو إلى عِبَـــادَةِ الشَّـــيْطَانِ بِالمَـــالِ وَالنَّفْـــسِ وَبِاللِّسَـــانِ

فبعض الناس أصبحَ فرخًا من أفراخ الشيطان؛ أصبح بوقًا من أبواق الشيطان عياذاً بالله.

النبي ﷺ: خاف على أمته الأئمة المضلين فقال: «**إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُم الأَئِمَّة المُضِلُّونَ**». أئمة لكنهم مضلون؛ فهم من باب أولى ضالُّون.

تدرج الشيخ مع الطالب:

١-: تعلم أن الله خلقك لعبادته.

٢-: ثم تعرف ما معنى العبادة.

٣-: إذا عرفت معنى العبادة، إذاً لابد أن تعرف أن العبادة اذا خالطها شركٌ أفسدها وأحبط العمل.

وضرب لك مثالاً واقعياً: يقره الصغير والكبير والجاهل والمتعلم حتى لا يُستغرب؛ وهو الحَدَثُ إذا خالط الطهارة أبطلها.

٤-: فإذا تقرر هذا الشيء، إذاً ينبغي أن تعرف ما هو الشرك.

وما هي أنواع الشرك من باب:

عَرَفْتُ الشَّرَّ لَا للشَّرِّ لَكِنْ لِتَوَقِّيْهِ وَمَنْ لَا يَعرِفِ الخَيْرَ مِنَ الشَّرِّ يَقَعْ فِيْهِ

ولذلك حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ الله عَنِ الخَيْرِ وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي».

وكما قال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «تُنْقَضُ عُرَى الإِسْلَامِ عُرْوَةٌ عُرْوَةٌ، إِذَا نَشَأَ فِي الإِسْلَامِ مَنْ لَا يَعْرِفِ الجَاهِلِيَّةَ».

فلا بد أن تعرف الخير فتعمل به، وتعرفِ الشَّرَّ لتجتنبه.

الشرك الأكبر يناقض التوحيد من أسه وأساسه.

والشرك الأصغر يذهب بكماله الواجب.

والمعاصي والبدع المفسقة تنقص التوحيد.

بعض الناس يقول: يكفينا نتعلم الخير؛ نقول لهم:

قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [الأنعام:٥٥].

لابد أن تتبين وتتبصر والا ستذهب في غيابة الضلال.

أهم شيء هو التوحيد:

أَوَّلُ وَاجِـــــبٍ عَلَى العَبِيْـــــدِ مَعْرِفَـــةُ الـــرَّحْمَنِ بِالتَّوْحِيْـــدِ

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء:١١٦].

هذا يدلُّ على أن الشرك جرمه عظيم، وأن الإنسان إذا مات على الشرك ولو كان يعمل في الظاهر من العمل الصالح فإن ذلك لا ينفعه.

يقول تعالى: ﴿ وَقَدِمۡنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنۡ عَمَلٖ فَجَعَلۡنَٰهُ هَبَآءٗ مَّنثُورًا ﴾ [الفرقان: ٢٣].

وقال تعالى: ﴿لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴾ [الزمر:٦٥].

فمن هنا تظهر فداحة الشرك.

المشرك إذا مات على الشرك، فإن الله لا يغفره له، ولكن الإنسان اذا مات على كبرى المعاصي دون الشرك، فإنه يكون تحت مشيئة الله تعالى إن شاء عفا عنه، وإن شاء عذبه على قدر ذنبه ثم أدخله الجنة، هذا من باب بيان عقيدة أهل السنة والجماعة ليس من باب الاستهانة بالمعاصي؛ لابد من التفريق؛ فكل له حكمه.

فالإنسان لا يستهين بالنار فقد جاء في "مسلم": «**يُؤْتَىٰ بِأَنْعَمِ أَهْلِ الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَيُصْبَغُ فِي النَّارِ صِبْغَةً ثُمَّ يُقَالُ: يَا ابْنَ آدَمَ، هَلْ رَأَيْتَ خَيْرًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ نَعِيْمٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لَا وَاللهِ يَا رَبِّ....**» الحديث. نسي كُلَّ ذلك، وهو أنعم أهل الأرض.

اللهم أجرنا من عذاب القبر والنار.

القاعدة الأولى

قال المصنف رحمه الله:

أن تعلم أنّ الكفّار الذين قاتلهم رسول الله ﷺ يُقرُّون بأنّ الله تعالى هو الخالق المدبّر، وأنّ ذلك لم يُدْخِلْهم في الإسلام، والدليل: قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ [يونس:٣١].

الشرح:

توحيد الربوبية: إِفْرَادُ الله بِأَفْعَالِهِ مِنَ الخَلْقِ وَالتَّدْبِيْرِ وَالإِحْيَاءِ وَالإِمَاتَةِ وَنَحْوِ ذَلِكَ، أَوْ إِفْرَادُهُ تَعَالَى بِأَفْعَالِهِ.

فالإقرار بهذا النوع من التوحيد لا يكفي للدخول في الإسلام، ولذلك قاتل النبي ﷺ الكفار وهم مقرون بهذا النوع من أنواع التوحيد؛ فلو كان يكفيهم هذا النوع من أنواع التوحيد لما قاتلهم النبي ﷺ، فالواجب أن يُفرد الله بالعبادة.

قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ... ﴾ [يونس:٣١].

هذا بيانٌ بما أقروا به من الربوبية؛ ليستدل بذلك على توحيد الألوهية.

ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [لقمان:٢٥]. ونحوها من الآيات.

فتوحيد الربوبية ليس هو المقصود بذاته؛ وإنما يؤتى به لتقرير توحيد الألوهية الذي هو المقصود بدعوة الأنبياء والمرسلين عليهم السلام.

وقوله: ﴿فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾: التقوى تتحقق بالابتعاد عن الشرك، وإخلاص العبادة لله وحده لا شريك له، وبه تتحقق أهم معاني التقوى.

فالتقوى هي: أَنْ يَجْعَلَ العَبْدُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ عَذَابِ الله وِقَايَةً بِفِعْلِ الأَمْرِ وَاجْتِنَابِ النَّهْيِ.

فَهَذِهِ قَاعِدَةٌ مُهِمَّةٌ.

العلاقة بين توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية:

توحيد الألوهية يتضمن توحيد الربوبية وتوحيد الربوبية يستلزم توحيد الألوهية.

معنى ذلك: أن من وحّد الله بألوهيته فمن باب أولى أن يكون موحداً له في ربوبيته، ومن وحّد الله في ربوبيته فيستلزمه أن يوحده في ألوهيته، لأن المستحق للعبودية والألوهية هو الكامل في ربوبيته من الملك والخلق والتدبير ونحو ذلك من معاني الربوبية.

تنبيه: من باب إتمام الفائدة: لا يقال بأن معنى لا إله إلا الله: أي: لا خالق إلا الله؛ لأن هذا تفسير الألوهية بتوحيد الربوبية الذي قد أقر به الكفار ولم ينفعهم ذلك شيئًا.

القاعدة الثانية

وقال رحمه الله:

أنّهم يقولون: ما دعوناهم وتوجّهنا إليهم إلا لطلب القُربة والشفاعة، فدليل القُربة قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ فِي مَا هُمۡ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ كَٰذِبٞ كَفَّارٞ﴾ [الزمر:٣].

الشرح:

يقولون: أي: المشركون.

والمقصود: بأن هؤلاء المشركين لم يكونوا يعتقدون في آلهتهم التي يعبدونها الخلق والرزق والإحياء والإماتة، بل يعتقدون ذلك لله تعالى كما تقدم، وإنما يجعلون آلهتهم وسائط بينهم وبين الله تبارك وتعالى وشفعاء لهم عند الله.

فبين الله تعالى: أن اعتقاد مجرد ذلك هو عبادة لهم، سواءً سجدوا لهم أم لم يسجدوا، وسواءً تقربوا لهم بأنواع من القربات كالذبائح

والنذورات ونحو ذلك أم لم يحصل منهم ذلك، فأنكر الله عليهم ذلك الاعتقاد، وبيَّن تعالى: أنه شركٌ.

فعملهم هذا أوقعهم في محذورين:

الأول: الشرك.

الثاني: التشبيه؛ لأن المخلوق كعظماء بني آدم من الملوك والرؤساء ونحوهم يحتاج للدخول عليهم والتكلم معهم إلى وسائط، أما المولى تبارك وتعالى لا نحتاج بيننا وبين ربنا وسطاء؛ بل ندعوه مباشرة.

كما قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ...﴾ الآية [غافر:٦٠].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ...﴾ الآية [البقرة:١٨٦].

قوله: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ﴾: أي: الذين نعبدهم من دون الله؛ وهذا تقرير منهم، فقد سمّوا الشرك الذي هو التوسط بمعبوداتهم عند الله عبادة، فالعبادة صرفها لغير الله شرك، كونك تتخذهم وسطاء لينفعوك عند الله هذا يعتبر شركًا.

الشرك: عِبَادَةُ غَيرِ الله مَعَ الله.

ذكروا أن هناك رجلين ذهبا الى موضع ما ومعهما حمار، فبينما هما في الطريق، إذ مات حمارهما فحزنا عليه، فحفرا له حفرة فوضعاه فيها، ثم أقاما عند تلك الحفرة، ثم بنيا عليه قبة، ثم إن الناس رأوهما فظنوه وليًّا فأصبحوا يزورونه ويعطونه من أموالهم ما يعطونه، فاختصما ذات يوم، فقال أحدهم للأخر: سأشكوك إلى الولي، فقال: أنسيت أنه حمار..!!!

وكل هذا بسبب بُعد أكثر الناس عن تعلم التوحيد.

فائدة: طلب الدعاء من الغير الحي خلاف الأولى؛ إلا اذا أراد نفع الغير لحديث: «**مَا مِنْ عَبْدٍ مُسْلِمٍ يَدْعُو لأَخِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ إِلاَّ قَالَ الْمَلَكُ وَلَكَ بِمِثْلٍ**» رواه "مسلم" عن أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأن لا يكون ذلك ديدنه.

﴿زُلْفَىٰٓ﴾: القربى والمنزلة.

قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَـٰذِبٌ كَفَّارٌ﴾: حكم الله عليهم بالكذب والكفر باتخاذهم معبداتهم وسطاء عند الله لجلب النَّفع لهم ودفع الضّر عنهم.

وقال المؤلف رحمه الله:

ودليل الشفاعة **قوله تعالى:** ﴿ وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾ [يونس: ١٨].

والشفاعة شفاعتان: شفاعة منفية وشفاعة مثبتة:

- فالشفاعة المنفية: ما كانت تُطلب من غير الله فيما لا يقدر عليه إلّا الله، والدليل: **قوله تعالى:** ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خُلَّةٞ وَلَا شَفَٰعَةٞۗ وَٱلۡكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [البقرة:٢٥٤].

- والشفاعة المثبتة هي: التي تُطلب من الله، والشّافع مُكرَم بالشفاعة، والمشفوع له: من رضيَ الله قوله وعمله بعد الإذن كما **قال تعالى:** ﴿مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦ ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

الشرح:

الشفاعة هي: التَّوَسُّطُ لِلغَيْرِ بِجَلْبِ مَنْفَعَةٍ أَوْ دَفْعِ مَضَرَّةٍ.

وهي على قسمين: مَنْفِيَّةٌ وَمُثْبَتَةٌ.

فالشفاعة المنفية: هي التي تطلب من غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله: كما يزعم المشركون ذلك لآلهتهم، سواءً كانوا أصناماً أو أوثاناً أو موتىٰ؛ فهذه شفاعة منفية؛ لأن الله نفاها.

قال تعالى: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾[المدثر: ٤٨]. ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ﴾ [النجم:٢٦].

ومعلومٌ أن: شرطي الشفاعة منتفيان في هذه الشفاعة؛ لأن الله تعالىٰ لم يأذن بها ولم يرض عن المشفوع له.

قوله: (من رضي له قوله وعمله بعد الإذن): إشارة إلىٰ شرطي الشفاعة المثبتة: إذن الله للشافع أن يشفع ورضا الله عن المشفوع له، كما تقدم.

وقوله: (والشافع مكرم بالشفاعة): نعم بلا شك فالله ﷻ يكرمهم فيأذن لهم أن يشفعوا لمن شاء من العباد تفضلًا منه ﷻ.

أما النوع الثاني من الشفاعة وهي الشفاعة المثبتة وهي التي تحقق فيها الشرطان المتقدمان،وهي علىٰ قسمين:

الأولى: شفاعة عامة؛ وهي التي يشترك مع النبي ﷺ غيره من الأنبياء والصالحين ومن ذلك شفاعته ﷺ لمن استحق النار أن لا يدخلها، **ومنها**: الشفاعة في رفع درجات أهل الجنة، **ومنها**: الشفاعة لمن دخلها أن يخرج منها، **ومنها**: الشفاعة لمن تساوت حسناتهم وسيئاتهم كأصحاب الأعراف فيشفع لهم أن يدخلوا الجنة.

الثانية: والشفاعة الخاصة به عليه الصلاة والسلام، ومن ذلك شفاعته في عمه أبي طالب بتخفيف العذاب عليه، **ومنها**: شفاعته في أهل الموقف أو المحشر لفصل القضاء وهي الشفاعة العظمى، **ومنها**: شفاعته لأهل الموقف من المؤمنين أن يدخلوا الجنة.

القاعدة الثالثة

وقال المصنف رحمه الله:

أنّ النبي ﷺ ظهر على أُناسٍ متفرّقين في عباداتهم منهم مَن يعبُد الملائكة، ومنهم من يعبد الأنبياء والصالحين، ومنهم من يعبد الأحجار والأشجار، ومنهم مَن يعبد الشمس والقمر، وقاتلهم رسول الله ﷺ ولم يفرّق بينهم، والدليل

قوله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٩٣].

ودليل الشمس والقمر **قوله تعالى:** ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ﴾ [فصلت: ٣٧].

ودليل الملائكة **قوله تعالى:** ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا﴾ [آل عمران: ٨٠]. ودليل الأنبياء **قوله تعالى:** ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ [المائدة:١١٦].

ودليل الصالحين **قوله تعالى:** ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ...﴾ الآية [الإسراء: ٥٧].

ودليل الأحجار والأشجار **قوله تعالى:** ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾ [النجم: ١٩-٢٠]. وحديث أبي واقدٍ الليثي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: خرجنا مع النبي ﷺ إلى حُنين ونحنُ حدثاء عهدٍ بكفر، وللمشركين سدرة يعكفون عندها وينوطون بها أسلحتهم يقال لها: ذات أنواط، فمررنا بسدرة فقلنا: يا رسول الله إجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط... الحديث.

الشرح:

المقصود من هذه القاعدة: أنَّ الشِّرك لا ينحصر في مجرد صرف العبادة للأصنام فحسب، فالنبي ﷺ حين أُرسِل جاء الى قوم متفرقين في عباداتهم، منهم من يعبد كذا، ومنهم من يعبد كذا...، فهؤلاء قاتلهم رسول الله ﷺ على حدٍّ سواء ولم يفرق بينهم لماذا؟ لأن العبادة حقٌّ محضٌ لله عَزَّ وَجَلَّ فصرفها لغير الله شركٌ **قال تعالى:** ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن:١٨].

﴿أَحَدًا﴾ نكرةٌ جاءت في سياق النهي فأفادت العموم؛لا ملكاً مقرباً ولا نبيًّا مرسلاً ولا وليًّا صالحًا.

فالعبادة حقٌّ محضٌ لله: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام:١٦٢-١٦٣].

الشمس والقمر مخلوقان من مخلوقات الله تعالى، وهما من آياته الكونية؛ **لأن الآيات تنقسم إلى قسمين:**

١-: **آيات كونية**، وهذه لا يجوز القسم بها.

٢-: **وآيات شرعية**، وهي الآيات المتلوة وهذه يجوز أن تقسم بها.

قوله: ﴿الَّذِي خَلَقَهُنَّ﴾: الله الذي خلقهن فكيف تصرفوا العبادة للشمس والقمر وغيرهما وهم لم يخلقوا شيئاً.

قوله: ﴿إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾: إن كنتم تعبدون الله فلا تصرفوا العبادة إلا إليه.

الملائكة: عباد مكرمون: ﴿لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم:٦].

قال العلامة السعدي رحمه الله عند قوله: ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا﴾ [آل عمران: ٨٠]، وهذا تعميم بعد تخصيص، أي: لا يأمركم بعبادة نفسه ولا بعبادة أحد من الخلق من الملائكة والنبيين وغيرهم

﴿أَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡكُفۡرِ بَعۡدَ إِذۡ أَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران:٨٠]، هذا ما لا يكون ولا يتصور أن يصدر من أحد مَنَّ الله عليه بالنبوة، فمن قدح في أحد منهم بشيء من ذلك فقد ارتكب إثماً عظيماً وكفراً وخيماً.

وقوله: ﴿يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ﴾: بين الله ضلال المشركين؛ حيث أنهم عبدوا من يعبد الله ويتقرّب إليه بالطاعة، فالواجب عليهم أن يعبدوا الله ﷻ.

اللات: قيل: صخرةٌ بيضاءُ منقوشةٌ بالطائف، وعليها بيتٌ له أستارٌ وسَدَنةٌ.

وقيل: هو رجل كان يَلُتُّ السويق وهو: التمر مع اللبن يخلط، ويقدم للحجاج فلما مات عكف الناس على قبره.

الشرك هل يفهم منه أنه عبادة القبور فقط؟

– لا – الشرك أعم من ذلك؛ لأن الشرك هو: عبادة غير الله مع الله. هذا تعريف الشرك الأكبر.

وأما الأصغر: فقد اختلف في تعريفه فبعضهم قال: كُلُّ مَا نُهِيَ عَنْهُ شَرْعًا مِمَّا كَانَ طَرِيقًا لِلوُصُولِ إِلَى الشِّرْكِ الأَكْبَرِ، وقد وردت النُّصوص

بتسميته شركاً، وبعضهم لا يذكر هذه اللفظة الأخيرة: (وقد وردت النصوص بتسميته شركًا)؛ فيكون أعم.

قوله: (**حدثاء عهد بكفر**): أي دخلنا في الإسلام قريباً.

قوله: (**ينوطون بها أسلحتهم**): أي يعلقون بها أسلحتهم طلبا للبركة، فهذا قد يكون وسيلة إلى الشرك.

قوله: (ذات أنواط): فأنكر عليهم النبي ﷺ فقال: «**اللهُ أَكْبَرُ، قُلْتُمْ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ كَمَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيْلَ لِمُوسَىٰ: اجْعَلْ لَنا آلَهَةَ كَما لَهُمْ آلهة**». وهذا الحديث صححه شيخنا العلامة الألباني رحمه الله.

قال الشيخ صالح آل الشيخ حفظه الله: وتحقيق المقام: أن التبرك بالشجر، أو بالحجر أو بالقبر، أو ببقاع مختلفة، قد يكون شركًا أكبر، وقد يكون شركًا أصغر.

أقول: إذا طلب بركتها واتخذها واسطة له عند الله اعتقد ذلك فهذا شرك أكبر، أما إذا اعتقد أنها مجرد سبب لطلب البركة ونيلها فقد وقع في الشرك الأصغر؛ لأنه لا يكون عبادة لغير الله -**جل وعلا**- وإنما اعتقد ما ليس سبباً مأذونًا به شرعاً سبباً.

القاعدة الرابعة

قال المؤلف رحمه الله:

أنّ مشركي زماننا أغلظ شركًا من الأولين، لأنّ الأولين يُشركون في الرخاء ويُخلصون في الشدّة، ومشركوا زماننا شركهم دائم؛ في الرخاء والشدّة. والدليل قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴾ [العنكبوت: ٦٥].

الشرح:

تدلُّ القاعدةُ: على أن الشرك بعضه أغلظ من بعض.

قوله: (زماننا): يقصد به زمان المتأخرين كزمن الشيخ وزماننا هذا.

ثم اعلم أخا الإيمان، **أن شرك المتأخرين أغلظ وأشد من شرك المتقدمين من ثلاث نواحي:**

١-: **أن الأولين يشركون في الرخاء ويخلصون في الشدة:** على العكس من مشركي زماننا فشركهم دائم في الرخاء والشدة، وهذه هي التي ذكرها الشيخ رحمه الله.

٢-: لو نظرت إلى التوحيد مثلا فستجد أن مشركي الزمن الماضي فهموا معنى التوحيد، ولذلك لم ينطقوا بكلمة: لا إله إلا الله، بينما مشركوا هذا الزمان قد ينطقون بلا إله الا الله، لكنهم يأتون بما ينقض لا اله الا الله. ويجادلونك على ذلك والعياذ بالله، فهم لم يفهموها ولذلك لم يعملوا بها.

٣-: أن دعاء المشركين الأولين كانوا غالبًا ما يصرفونه لمخلوقين مقربين إلى الله، كالملائكة والنبيين والأولياء والصالحين، أمَّا مشركوا زماننا فيدعون مع الله غالبًا أهل الفجور والإلحاد، كابن عربي المكي وأضرابه.

من هذه النواحي تجد الفوارق، لكن من نواحي أخرى تجد أن المشركين الأولين شركهم أشد وكفرهم أشد؛ بحيث أن الأولين يكفرون بالإسلام جملةً وتفصيلاً؛ ويكفرون بالقرآن ويكفرون بالنبي ﷺ، أمَّا مشركوا هذا الزمان فتجدهم يدّعون الإسلام ويؤمنون بالقرآن وبنبوة رسول الإسلام ﷺ، ولكن عندهم شبهات أوقعتهم في الشرك.

وبعض هؤلاء يعذر بالجهل؛ لأنه ما عنده علم لعدم ادراكه للحجة وفهمها لها[١].

تم بحمد الله شرح القواعد الأربع

(١) مسألة العذر بالجهل قد فصلت فيها في شرحي ل"ثلاثة الأصول" المسمىٰ "نيل السعادة بشرح الأصول الثلاثة".

الفهرس

المتن ٤
القاعدة الأولى ٢٠
القاعدة الثانية ٢٣
القاعدة الثالثة ٢٩
القاعدة الرابعة ٣٤
الفهرس ٣٧